

التبيان في تفسير القرآن

(61) قوله تعالى: والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون (196) آية. هذا عطف على الآية الاولى، فكأنه قال قل وليي الله القادر على نصرتي عليكم وعلى من اراد بي ضرا. والذين تتخذونهم انتم آلهة لا يقدرّون على ان ينصروكم ولا أن يدفعوا عنكم ضررا. ولا يقدرّون ان ينصروا أنفسهم ايضا لو ان إنسانا اراد بهم سوءا من كسر او غيره. وإنما كرر هذا المعنى لانه ذكره في الآية التي قبلها على وجه التقرير، وذكره ههنا على وجه الفرق بين صفة من تجوز له العبادة ممن لا تجوز، كأنه قال: إن ناصري الله ولا ناصر لكم ممن تعبدون. وإنما قال تدعون من دونه وهم يدعونهم معه، لان معنى من دونه من غيره ومع ذلك فانه بمنزلة من افرد غيره بالعبادة في عظم الكفر والشرك. قوله تعالى: وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وترىهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون (197) آية. قال الفراء والزجاج: المعنى إن دعوتهم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام إلى صلاح ومنافع لا يسمعوا دعاءكم، وتراهم فاتحة أعينهم نحوكم على ما صور تموهم عليه من الصور، وهم مع ذلك لا يبصرونكم. قال الجبائي: جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجازا، لان النظر حقيقة تقلب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد.